التربية الروحية الاسلامية واثرها في مواجهة تحديات التعليم في العصر الحديث

Islamic spiritual education and its impact on facing the challenges of education in the modern

ا.م.د.رغد حسن علي السراج
D. Raghd Hassan Ali Al-Sarraj
جامعة بغداد / كلية العلوم الإسلامية

الكلمات المفتاحية: التربية الروحية، التعليم، قوى الروح، المعلم ، المتعلم

ملخص البحث

الحمد لله تعالى رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد فالبحث جولة فكرية وروحية سريعة في بيان اهمية التربية الروحية على نحو عام وضرورة ترسيخه في الهيكل التعليمي على نحو خاص لأهمية العلم والعالم والمتعلم فهذه قواعد إنشاء الأمم القوية المتحضرة، وإن التربية الروحية أساس تكوين المجتمع المتسامح الموحد الذي يقبل كل فرد فيه الآخر دون تمييز أو استعلاء فالخلق كلهم عيال الله تعالى، وبهذا فلا مجال لزراعة بذور الشقاق والتشدد والإرهاب التي يستغلها بعض الجهلة وأعداء الإسلام مستندين إلى بعض نصوص الشرع الشريف جهلا وزورا وبهتانا، وإذا تم هذا الوعي في الجيل المتعلم صنعنا مجتمعا محصنا مثقفا بثقافة الروح المباركة السمحة، وهذا رجاء يتحصل بصدق النوايا وهمة وجهد المخلصين من الأساتذة والعلماء الربانيين، فالغفلة هي المصيبة الدهماء في العصر الحديث وهي من اهم اسباب تعرض المجامع على نخو عام والشباب على نحو خاص للفتن والشبهات وانسياقهم خلف كل ناعق وضال ومما نراه زيادة نسبة الانحرافات الاخلاقية والفكرية والعقدية وهذا البحث يسلط الضوء على اهمية التربية الروحية في استنهاض طاقة القلب ليكون حاضرا بين يدي الله تعالى في كل حال، وهذا ما اشارت اليه الآية الكريمة(رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ) [سورة النور ٣٧].

أما خطة البحث فكانت على النحو الآتي: اشتمل البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة ثم مصادر البحث وعلى النحو الآتي: المبحث الأول: الروح في ظلال الشريعة الغراء، وفيه ثلاثة مطالب: المطلب الأول: الهدايات الروحية في الكتاب والسُنة . المطلب الثاني: القوى الروحية البشرية. المطلب الثالث: التربية الروحية في الإسلام. المبحث الثاني: التربية الروحية وأثرها الإنساني (التعليم انموذجا)، وفيه اربعة مطالب: المطلب الأول: أثر الروح في صياغة التصرفات الإنسانية . المطلب الثاني: الهدايات الشرعية في الجانب التعليمي، المطلب الثالث: اهمية الجانب التربوي والمعرفي في مواجهة التحديات المعاصرة، المطلب الرابع: أثر التربية الروحية في المسيرة التعليمية نسأل الله تعالى أن يمن علينا بتقوى القلوب وصفاء الأرواح وبنفوس مزكاة راضية وان يوفق الجيل الجديد لينهل من معين الإسلام الصافي الذي ملأ الأرض بالرحمة والنور والحمد لله رب العالمين .

Research Summary

Praise be to God Almighty، Lord of the Worlds، and prayers and peace be upon the Seal of the Prophets، his family and his companions، and those who were guided by his guidance until the Day of Judgment. Civilized، and spiritual education is the basis for the formation of a unified tolerant society in which every individual accepts the other without discrimination or superiority. All creation is the servants of God Almighty and thus there is no room for planting the seeds of discord، militancy and terror that some ignorant and enemies of Islam exploit based on some of the texts of Sharia and their ignorance do not understand what it means. This awareness in the educated generation has made us a fortified society educated by the culture of the soul، and this wish is fulfilled with the sincerity of intent and sincerity of professors and scholars، so neglect of the heart is the calamity in the modern era and it is one of the most important reasons for exposing societies in general and youth in particular to sedition and suspicions and their drive behind the owners of sedition and delusion and other things. We see an increase in the percentage of moral، intellectual and belief deviations.

This research highlights the importance of spiritual education in mobilizing the energy of the heart to be present with God Almighty in every situation.

As for the research plan، it was as follows: The research included an introduction، two studies، a conclusion، then the sources of the research and as follows: The first topic: The soul in the shades of the Glorious Sharia. The second requirement: human spiritual powers. The third requirement: spiritual education in Islam. The second topic: Spiritual education and its human impact (education as a model)، and it contains four demands: The first requirement: the effect of the soul in the formulation of human behavior. The second requirement: legal guides in the educational aspect، the third requirement: the importance of the educational and cognitive aspect in facing contemporary challenges، the fourth requirement: the effect of spiritual education on the educational process. We ask God Almighty to bless us with the piety of hearts and the purity of souls and the souls of a contented charity and to reconcile the new generation to draw from a certain one. Pure Islam that filled the earth with mercy and light، praise be to God، Lord of the worlds

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا المصطفى وآله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين ، وبعد ....

فقد اتصف دين الإسلام بصفات الكمال والمرونة والتجدد الذاتي، ففي نظرته للحياة والإنسان قد أعطى كل ذي حقٍ حقه ورسم معالم الخير في كل اتجاه، وكانت تشريعاته المباركة تحمل صفة التوازن الرائع بين مختلف التوجهات والحاجات والقوى الإنسانية، فوازن بين متطلبات الدنيا والآخرة، وبين متطلبات الروح والجسد، ووازن بين قوى الروح نفسها، فمقابل النفس الأمارة التي دعت فرعون ليقول) أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)) سورة النازعات من الاية ٢٤) ودعت قابيل أن يقتل أخاه هابيل، جعل قوة أخرى توازيها، فإذا صلحت ونمت كانت هي القوى الفاعلة المؤثرة على تصرفات الإنسان، تلك القوة هي (القلب)، تلك اللطيفة الروحانية المباركة التي هي جوهر الإنسان وسر تكريمه وخلوده؛ قال الصادق الامين عليه الصلاة والسلام: ((أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ))[1].)

وبعد ما أظلنا زمان تراكمت فيه أسباب الشقاء، وبرزت فيه أنياب الإرهاب، وتضافرت فيه المحن والفتن والضيق ونكد العيش واشتدت متاعب الحياة، وطغت المادة، وهزلت الروح، وقست القلوب، وأظلمت النفوس، وتضاعفت الهموم، وادلهمت الخطوب، وفشت أفكار التطرف والعنف الداعية للتفرقة والتشتت، ظهرت حاجتنا للعودة إلى الله تعالى والتمسك بهدايات شرعه الشريف، والاعتصام بحبله المتين، والعمل بكتابه الكريم والاقتداء بسُنة رسوله الأمين الداعية للتسامح والوحدة واستيعاب الاختلاف الذي هو سُنة كونية في الوجود كله بل الإنسان الذي ينتفع من هذا الاختلاف في تلاقح الأفكار والحضارات، قال الله تعالى (يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهَّ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَّ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (سورة الحجرات الاية ١٣).

إن ترسيخ ونشر المفاهيم الروحية ينبغي أن تكون أصلا واساسا للدراسات الإسلامية في المراحل الدراسية كافة ليتحصن الجيل القادم بالفكر المتنور الصحيح المبني على هدايات الوحدة والمحبة والتسامح والتعايش السلمي، والنابذ لكل أفكار العنصرية والتشدد والطائفية والأرهاب، والله سبحانه نسأل ان يكون هذا البحث نواة لهذا الخير العميم.

أهمية البحث: تبرز أهمية البحث في إعادة صياغة التربية الإسلامية للجيل الجديد خدمة لهذا الدين الحنيف والأمة التي عانت من ويلات العنف والإرهاب والضياع لتنعكس هذه التربية على العلم والتعليم وعلى مجتمعاتنا بعد ذلك، فهذه هدايات

(١) متفق عليه، صحيح البخاري، باب من استبدل لدينه: ١/ ٢٠، صحيح مسلم، باب الحلال بين والحرام بين: ٥/ ٥٠.

أوصى به شرعنا الحنيف وحث عليها في نصوص مباركة كثيرة من الكتاب والسُنة، وهي أمانة في اعناق صناع القرار والمناهج التعليمية والعلماء والأساتذة والناس أجمعين.

سبب اختيار الموضوع: افتقار مناهج التربية الإسلامية في وقتنا الحاضر إلى المواضيع الهادفة الفاعلة دون تعقيد أو إسهاب، ونخص بذلك الموضوعات التي تنبذ الطائفية وأفكار العنف والشقاق، والتحذير من الشبهات التي يستغلها أعداء الإنسانية لتكون بذورا للإرهاب، كذا المواضيع الروحية والأخلاقية التي تدعو لتأصيل قواعد الأخلاق الفاضلة التي يمتاز بها المسلمون عبر الزمان والمكان.

اضافة الى غياب المفهوم الروحي عند المسلمين على نحو عام مع كون القران الكريم غني بذكره والعناية به فقد ذكر القلب مثلا في اكثر من مائة موطن وبالطبع فيقصد بالقلب اللطيفة الروحية التي تعتني بالمسائل الروحية مثل البصيرة والايمان ومقامات الإحسان وغيرها، قال تعالى (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) (سورة الحج ٤٦).

هدف البحث: تسليط الضوء على إعادة صياغة التربية الإسلامية في المناهج الدراسية بما يرسخ مفاهيم المحبة والتسامح والوحدة ونبذ الإرهاب ونشر وترسيخ المفاهيم الروحية التي هي السبيل إلى صفاء الروح وتزكية النفوس ونقائها، وإحياء القلوب وجلائها، وتقويم الأخلاق وتهذيبها وغرس محبة الله تعالى في القلوب ومخافته وطاعته جل جلاله، وابتغاء رضوانه والعمل بهدي نبيه ومحبته والاقتداء بسيرته ودعوته صلى الله عليه وسلم، وأن يكون العمل خالصاً لله تعالى.

أما خطة البحث فكانت على النحو الآتي:

اشتمل البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة ثم مصادر البحث وعلى النحو الآتي:

المبحث الأول: الروح في ظلال الشريعة الغراء، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:

الهدايات الروحية في الكتاب والسُنة .

المطلب الثاني: القوى الروحية البشرية.

المطلب الثالث: التربية الروحية في الإسلام.

المبحث الثاني: التربية الروحية وأثرها الإنساني (التعليم انموذجا)، وفيه اربعة مطالب:

المطلب الأول: أثر الروح في صياغة التصرفات الإنسانية .

المطلب الثاني: الهدايات الشرعية في الجانب التعليمي

المطلب الثالث: اهمية الجانب التربوي والمعرفي في مواجهة التحديات المعاصرة

المطلب الرابع: أثر التربية الروحية في المسيرة التعليمية

نسأل الله تعالى أن يمن علينا بتقوى القلوب وصفاء الأرواح وبنفوس مزكاة راضية وان يوفق الجيل الجديد

لينهل من معين الإسلام الصافي الذي ملأ الأرض بالرحمة والنور، وأن يجعل ما قدمناه حجة لنا لا حجة علينا، وأن يقبلنا في زمرة الصالحين المصلحين المتعلمين خدمة لهذا الدين والحمد لله رب العالمين .

❋ ❋ ❋

المبحث الأول: الروح في ظلال الشريعة الغراء

المطلب الأول: الهدايات الروحية في الكتاب والسُنة

لقد خلق الله تعالى الإنسان في احسن تقويم فقال عز وجل: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾(١)، ومن ذلك الحُسن ان أعطاه قوى مختلفة أهلته لأن يكون خليفة الله تعالى في الأرض فقال جل جلاله: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)(٢)، ولأن الإنسان خليفة الله تعالى في أرضه، أعطاه الباري جل جلاله وعم نواله القوى العضلية والفكرية اللازمة لصناعة الحياة وبناء الحضارات ثم كمله بالقوة الروحية التي هي سبب الحياة الدنيوية والاخروية وبها يدرك الإنسان وجود الله تعالى، ويرى ببصيرته جمال اثره وعظيم قدرته، لأنه تبارك وتعالى لعظمته:(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (٣).

ولقد جاء ذكر الروح وبعض قواه الخالدة كقوة القلب في القرآن الكريم في آيات عدة، وقد استعملها القرآن الكريم لتحمل أربعة معاني متمايزة هي:

أولاً: القرآن الكريم: في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(٤)، فالروح في هذه الآية الكريمة هي القرآن الكريم وبه تحيا القلوب فيدعوا به عليه الصلاة والسلام إلى صراط مستقيم وهو دين الإسلام، وسماه روحاً لأن القرآن الكريم فيه حياة من موت الجهل(٥).

الثاني: المَلك الكريم: في قوله تعالى: (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)(٦) ، وقوله تعالى: (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ)(٧)، فالمقصود بالروح في الآيتين الكريمتين كما ورد في التفاسير هو الملك جبريل عليه السلام(٨).

(١) سورة التين: الآية ٤ .
(٢) سورة البقرة: الآية ٣٠ .
(٣) سورة الأنعام: الآية ١٠٣ .
(٤) سورة الشورى: الآية ٥٢ .
(٥) ينظر: تفسير القرطبي: ١٦/ ٥٤-٥٥، تفسير الجلالين ٦٤٦ .
(٦) سورة النحل: الآية ١٠٢ .
(٧) سورة الشعراء: الآية ١٩٢-١٩٤ .
(٨) ينظر: تفسير القرطبي: ١٠/ ١٧٧، ١٣/ ١٣٨، تفسير

الثالث: روح الإنسان: قال عز وجل: (ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ)[1]، وقوله تعالى:﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلً﴾[2].

وقد وردت تفسير الروح في هاتين الآيتين الكريمتين هي روح الإنسان التي يحيا بها البدن، وبها اصبح الجسد حياً حساساً بعد أن كان جماداً[3].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِين﴾[4].

فالروح هنا مصدر أصل الإنسان وحقيقته إضافة خلق إلى خالق. فالروح من خلقه تعالى أضافه إلى نفسه عز وجل تشريفا وتكريماً[5].

الرابع: بصيرة القلب فقال جل جلاله: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَّ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهَّ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهَّ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[6]، فالروح في هذه الآية الكريمة هو (النور) أي أن الله تعالى أيدهم بنور منه في قلوبهم، وبه تبصر قلوبهم الحق[7].

ومما يؤيد أن للقلب بصيرة يبصر بها قوله تعالى: (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُور) [8]، وقد كثر ذكر القلب في القرآن الكريم كثرة مشعرة بمنزلته العلية بين سائر قوى الروح (النفس، الفكر، القلب) والتي سيأتي بيانها في المطلب الثاني فبلغت الآيات التي ذكر فيها القلب أحدى وثلاثين ومائة آية، إلا أن معناها قد ذكر في التنزيل باسم الفؤاد واللب أيضاً حتى كأن القلب هو الروح عينها، فإن لم يكن فهو أعظم قواها[9].

ونحن معنيون في بحثنا المتواضع هذا (بالروح) على المعنيين الاخيرين وهما: روح الإنسان وبصيرة قلبه، ويقصد باللفظين: الطاقة الروحية للإنسان ولا مشاحة في الاصطلاح .

وكذا جاءت السُنة المباركة لتسلط الضوء على هذا المعنى العظيم الذي أشغل فكر الإنسان منذ القدم فلقد سأل اليهود سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام عن الروح[10]، فنزل قوله تعالى: (ويسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ

الجلالين: ٣٩٩، ٤٩٧ .

(١) سورة السجدة: الآية ٩ .

(٢) سورة الإسراء: الآية ٨٥ .

(٣) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٥/ ٣٣-٣٤، تفسير الجلالين: ٥٤٨، ٣٨٢ .

(٤) سورة الحجر: الآية ٢٨-٢٩ .

(٥) ينظر: تفسير القرطبي: ١٠/ ٢٤، تفسير الجلالين: ٣٤٦ .

(٦) سورة المجادلة: الآية ٢٢ .

(٧) ينظر: تفسير الجلالين: ٧٢٣ .

(٨) سورة الحج: الآية ٤٦ .

(٩) ينظر: معالم الطريق في عمل الروح الإنساني: ٢٧٨ .

(١٠) رواه البخاري، باب قوله تعالى (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون): ٩/ ١٣٦ .

الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)[1]، وهذا جواب تام وليس منعاً من الجواب كما يتوهم بعض الناس، فالخلق نوعان، فالله عز وجل خلق على نمط سلسلة طويلة من الأسباب والمسببات وهذا من عالم الخلق، كقرص الخبز الذي تأكله وتتغذى منه، فمن حراثة الأرض وبذرها وسقي الماء وتعاقب الإشعاعات والأضواء، فالحصاد والتنقيح والطحن وعمل الخبز إلى أن تأكله، كم من سبب وسبب مما ذكرنا ولم نذكر؟ أما إذا خلق الله عز وجل من دون أسباب فهو من عالم الأمر، حيث تنعدم السلسلة ويعبر عنه رب العالمين جل جلاله بالإضافة إلى ذاته[2].

ويؤكد هذا قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ)[3]، وقوله تعالى:) ويسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)[4] وهي الآية المتلوة تمامها آنفاً التي تم فيها جواب السؤال ببيان خاصة الروح المميزة اياها وهي كونها من عالم الأمر، أي من عالم النمط الثاني للخلق.

وهذا تفسير لقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[5]((والأمر) يدخل في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[6]، ولقد جعل الإمام البخاري هذا المفهوم في صحيحه تحت باب بعنوان قول الله تعالى:(إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)[7]،[8].

ولقد عظم النبي عليه الصلاة والسلام كل ذات روح من المخلوقات لأنها من الله تعالى، كأرواح الحيوانات وأن كانت تلك الأرواح حياتية أي أنها سبباً للحياة فقط فلقد نهى عليه الصلاة والسلام أن يتخذ الإنسان شيئاً من الروح غرضاً أي هدفاً لتعلم الرمي[9]، أما روح الإنسان الخالدة فقال عنه عليه الصلاة والسلام (لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق)[10]، مؤكداً قوله تعالى: ﴿من أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[11]، وبهذه الدلالة الواضحة على تعظيم مكانة الروح البشرية في الكتاب والسُنة أختم هذا المطلب لأشرع في بيان قوى الروح الخالدة.

المطلب الثاني: القوى الروحية البشرية.

للروح قوى كما للجسد فله قوته العضلية، والعقل في قوته الفكرية والناس متفاوتون في هاتين القوتين،

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٥ .
(٢) ينظر: معالم الطريق: ٥٥ .
(٣) سورة الحجر: الآية ٢٨-٢٩ .
(٤) سورة الإسراء: الآية ٨٥ .
(٥) سورة الأعراف: الآية ٥٤ .
(٦) سورة يس: الآية ٨٢ .
(٧) سورة النحل: الآية ٤٠ .
(٨) صحيح البخاري: ٩/ ١٣٦ .
(٩) رواه مسلم في صحيحه، باب النهي عن ... البهائم: ٣/ ١٥٥ .
(١٠) رواه ابن ماجه في سننه، باب التغليظ في قتل مسلم ظلماً: ٢/ ٨٧٤ . وأسناده صحيح ورجاله موثوقون .
(١١) سورة المائدة: من الآية ٣٢ .

كذا فإن للروح قوى والناس متفاوتون بها، وصاحب أعظم قوة روحية من البشر هم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأعظمهم قوة وتأثيراً خاتمهم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ولا يسعني في هذا البحث المتواضع لسرد جميع الأدلة في هذا الموضوع[١]، وإنما يمكن إدراك ذلك على نحو بسيط، فنحن في المنام مثلاً نرى أناساً ونتحدث إليهم وهم في أماكن بعيدة، ومنهم من فارق الحياة، فبأي قوة أو حاسة يرى الإنسان هؤلاء ويتحدث إليهم ؟ إنها قوة الروح .

ولقد خاطب النبي عليه الصلاة والسلام قتلى قريش وصناديدها في معركة بدر وسماهم ((يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟)) فقال عمر: يا رسول الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: ((والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يجيبون))[٢].

وفي شريعتنا الغراء يُندب لنا أن نزور الموتى والمقابر ونلقي عليهم التحية ونوقن بأنهم يسمعون، كيف وقد بليت الأجساد، هذا كله من آثار قوة الروح التي تتعاظم بعد خروجها من سجن الجسد لتعود إلى عالم أكثر رحابة وملاءمة لطبيعتها هو عالم البرزخ[٣].

وقوى الروح ثلاث، متمايزات ومتفاعلات في واقع الأمر وهي (الفكر، والنفس، والقلب) وفيما يأتي بيانها بإيجاز:

أولاً:

الفكر: قوة روحانية بها يدرك الروح ويعلم ويتأمل ويعقل ويفهم ويتخيل ويتذكر ويستنتج، ومظهر ارتباطها بالجسد الترابي هو الدماغ، وورد لفظ الفكر ومشتقاته في القرآن الكريم للدلالة على وجود الفكر والمفكر[٤]، ومنها قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ)[٥].

ثانياً: النفس و هي القوة الدافعة إلى الشهوات والأمارة بالسوء ومظهر ارتباطها بالجسد غدة في الثالث من تجاويف الدماغ ما بين العينين من الجبهة تقريباً، والغدة قابلة للتكلس المادي دون أن تكون قد ماتت بعد، والنفس البشرية انواع امارة بالسوء ولوامة ومطمينة وراضية ومرضية[٦]، وفي الآيات التي وردت فيها لفظة (النفس) والتي تحمل المعنى الذي تقدم معناه ما يأتي:

وقوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ

(١) للاستزادة في هذا الموضوع ينظر: الروح لابن القيم الجوزية: ١١، معالم الطريق: ٥٧-٥٨ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه، باب شهود الملائكة بدرا: ٥/ ٨٦، باب ما جاء في عذاب القبر: ٢/ ٩٨ .

(٣) ينظر: الروح لابن القيم: ٥-٩ .

(٤) معالم الطريق: ٢٧٣-٢٧٤ .

(٥) سورة الروم: الآية ٨ .

(٦) معالم الطريق: ٢٧٦، تزكية النفس لمحمد عبد الكريم البرزنجي: ٢٩ .

بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ)[1]، وقوله تعالى: (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[2]. وقال تعالى: (يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨))[3]، وقد وردت لفظة النفس في القرآن الكريم لمعان أخرى ليس من موضوع البحث[4]، وهذه النفس قابلة للتغيير والتزكية قال تعالى (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا)[5].

ثالثاً: القلب: وهو قوة روحانية لطيفة ذات مِرة بها الإرادة والتأثير البليغ في القوتين الاخريين (الفكر والنفس) وتختص بمعقولات لا تصلها القوتان الاخريان، ومظهر ارتباطها بجسد الإنسان هو العضو الصنوبري الجسماني الموجود في تجويف الصدر والمسمى بـ (القلب) عينه[6].

وهذه القوى الثلاث (النفس، الفكر، والقلب) متفاعلة فيما بينها يؤثر بعضها في بعض، وأن كان للقلب تأثير أتم وسلطان اعظم لأنه منبع الإرادة والقرار الفعال، ويستقيم السلطان له إذا كان ظهيره الشرع الحنيف وما جاء به سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم، فأن شذ عن ذلك أو انحرف غلبه فكر منحرف لا محالة، وساقته النفس الأمارة بالسوء إلى عمل ظاهر أو باطن فيه انقطاع القلب فتسوء الروح[7]، (وقد ذكرنا أنفاً أن القلب إن لم يكن هو الروح فهو أعظم قواها) والروح مترجم للقلب والعكس صحيح، وفي هذا قال تعالى: (لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ[8]، وقوله تعالى:(أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ[9].

وهذا يعني أَن الإنسان إذا إنساق مع النفس الأمارة بالسوء إلى المعاصي من الكبائر والسيئات غلبته على فكره وقلبه بتراكب تلكم الآثام، وإذا انساق مع أفكار ضالة عن نهج الهداية الربانية غلبهُ الفكر الضال على قلبه فأمسى كالحجارة بل هو أشد قسوة، وأما من آمن قلبه واتقى وصدق بالحسنى فذلك الذي يسر الله تعالى روحه لليسرى ووفقه لخير الآخرة والأولى[10]، ولنا في الجزء الثلاثين من القرآن المجيد سور عديدة توضح بأساليب مفيدة أوجه الهداية والضلال والعلاقة بين

(١) سورة البقرة: الآية ٨٧ .
(٢) سورة المائدة: الآية ٣٠ .
(٣) سورة الفجر: الآيتين ٢٧-٢٨ .
(٤) للاستزادة في هذا الموضوع ينظر: تزكية النفس: ٣٠-٣١ .
(٥) سورة الشمس الآية ٩.(٤١)
(٦) معالم الطريق: ٢٨٦ .
(٧) ينظر: الرابطة القلبية للعلامة د. سعد الله البرزنجي: ٣٨ .
(٨) سورة التوبة: الآيتين ٤٤-٤٥ .
(٩) سورة الزمر: الآية ٢٢ .
(١٠) ينظر: الرابطة القلبية: ٣٨ .

القلوب والأفكار والأعمال[1].

المطلب الثالث: التربية الروحية في الإسلام

وبعد أن علمنا قوى الروح الثلاث (النفس، الفكر، القلب) وأن أعظمها سلطانا هو القلب نوجز في بيان حق كل منها.

فحق النفس الأمارة في التربية أن يكبح جماحها وتكسر سيوفها ورماحها وتصد عن الجوارح والفكر والقلب رياحها وتنقطع خداعها وتطوع كي يستوي مسارها وغدوها ورواحها، وعندئذ فهي النفس المزكاة مريدة القلب في أمره[2] قال تعالى: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)[3]، وبتزكية النفس تتربى الروح، لأن التزكية تطهير من الذنوب بخلاف الدس فإنه إخفاء للنفس بالمعاصي[4].

وحق الفكر في التربية: أن يستعلم كل معرفة فرض عين ثم كل ما امكن من فروض الكفاية[5]، ثم ما تيسر من النوافل والقربات وأن يتجه في العلم والعمل إلى ضروريات الحياة ثم الحاجيات ثم إلى التحسينات[6]. وبذلك يصبح الفكر حينئذ معين ورفيق للقلب يساوقه ويواكبه ويحاوره ويستعين به ويعاونه، ويتجه معه إلى كل ما يحيي الفؤاد ويرضي رب العباد[7].

وحق القلب في التغذية والتربية: أن يتجه إلى الغاية المثلى والمقصد الاسنى لروح الإنسان، وأن يقود الفكر إلى زكاة الأبدان والجنان، وأن يعرج مع الروح الى عالم القدس وبهجة الرضوان، والغاية المثلى هي (منازل الذكر) (أي ذكر الله عز وجل تحت أي ظرف وفي أي وقت) والمقصد الاسنى: هو (مقام الإحسان)[8]. وقد استنبط العلماء هذا الحق مما جاء به الشرع الحنيف فقد ورد على لسان سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام

(١) راجع سور النازعات، الشمس، الليل، الأعلى .
(٢) ينظر: معالم الطريق: ٢٨٦ .
(٣) (٥١) سورة الشمس: ٧-١٠ .
(٤) ينظر: تفسير الجلالين: ٨٠٠، تزكية النفس: ٢٧ .
(٥) الفرض أو الواجب في الشريعة الإسلامية نوعان، فرض عين وفرض كفاية، فرض العين: هو ما توجه في الطلب الازم إلى المكلف فلا يكفي فيه قيام البعض دون البعض الآخر ولا تبرأ ذمة المكلف منه إلا بأدائه كالصلاة والصيام، أما فرض الكفاية: هو ما طلب الشارع حصوله من جماعة المكلفين لا من فرد منهم لأنه مقصود الشارع حصوله في الجماعة، أي إيجاد الفعل لا ابتلاء المكلف فإذا فعله البعض سقط عن الباقي كالجهاد والقضاء والإفتاء، [ينظر: الوجيز في أصول الفقه: ٣٦] .
(٦) مقاصد الشريعة الإسلامية تتلخص في حفظ الضروريات والحاجيات والتحسينات فالضروريات أعلاها مرتبة وهي: المقاصد الإلهية في الأحكام الشرعية اذا تخلفت كلها أو بعضها في أي مجتمع أختل نظام حياتهم وسادت الفوضى وتغلب الفساد وهي (حفظ الدين والنفس والعرض والمال والعقل) . أما الحاجيات: فهي المصالح التي يحتاجها الإنسان لدفع المشقة ودفع الحرج والضعف وتلي الضرورية في الأهمية كجواز الفطر للمسافر والمريض. أما التحسينات فهي آخر مرتبة وهي التي لا يختل نظام الحياة بتركها ولا يقع الإنسان في ضيق بتخلفها كلها أو بعضها ولكنه لا يستغني عنها في وصوله إلى الكمال وتحليه بالمحاسن وتخليه عن الرذائل كالتقرب بالنوافل من الصدقات والقربات . [ينظر: أصول الفقه في نسيجه الجديد للزلمي: ١/ ١٤٤-١٤٩] .
(٧) ينظر: معالم الطريق: ٢٨٧.
(٨) ينظر: المصدر السابق: ٢٨٨ .

أحاديث دلت عليها منها قوله عليه الصلاة والسلام: ((لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي))[1]، وقوله عليه الصلاة والسلام ((كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله))[2]، وهذا فيما يتعلق في حق القلب في الغاية المثلى وهي (منازل الذكر) فالأول من الحديثين الشريفين يصح فهمه عن أن النهي هو عن الإكثار من الكلام في أي شأن إكثاراً محفوفاً بدوام الغفلة عن الله تعالى، والمأمور به فيه هو قطع الغفلة ومعاودة ذكر الله جل جلاله وعم نواله سواء كان الذكر أو المعاودة باللسان أو الفكر أو القلب إذ أن للفظ الذكر معنيان روحاني وجسماني، فالروحاني: هو الاستحضار في الفكر والقلب[3]، كما في قوله تعالى: (رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهَّ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَار[4]، وخص الله عز وجل التجارة بالذكر لأنها أعظم ما يشغل به الإنسان عن الصلاة لقوله تعالى: (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللهَّ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللهَّ خَيْرُ الرَّازِقِينَ.[5]

وأما ذكر الله تعالى في الآية فقيل هي حضور الصلاة المكتوبة وقيل هو الأذان، وقيل ذكر الله بأسمائه الحسنى أي يوحدونه ويمجدونه، والذكر لفظ عام يدخل تحته كل أنواع الذكر التي ذكرها المفسرون[6]

أما الذكر الجسماني فهو القول والنطق بجهاز الصوت كما في قوله تعالى في قصة سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾[7]، أي أخبر سيدك بأني مظلوم وفي اللغة معروف أن يقال للسيد رب.[8]

هذا فيما يتعلق بمقام الذكر، أما مقام الإحسان فقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام في حديث صحيح انه سُأل عن الإحسان فقال عليه الصلاة والسلام: ((أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك))[9]، والمراد هنا أن يصبح المؤمن مستغرقاً في الحضور استغراق خشوع واستحياء بأن الله عز وجل حاضر معه يراه ويسمعه ويعلم ما تبدي نفسه وما تخفيه قال تعالى: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهَّ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)[10]، وقال تعالى: (للهَّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهَّ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهَّ عَلَى كُلِّ

(١) رواه الترمذي في سننه، وقال حسن صحيح: ٤/ ٦٠٧ .
(٢) رواه الترمذي وغيره [انظر: سنن الترمذي: ٤/ ٦٠٨، جامع العلوم والحكم: ١٥٥] .
(٣) ينظر: معالم الطريق: ٢٨٩-٢٩١ .
(٤) سورة النور: الآية ٣٧ .
(٥) سورة الجمعة: الآية ١١ .
(٦) ينظر: تفسير القرطبي: ١٢/ ٢٧٩ .
(٧) سورة يوسف: من الآية ٤٢ .
(٨) ينظر: تفسير القرطبي: ٩/ ١٩٤ .
(٩) رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث طويل: (صحيح البخاري، باب سؤال جبريل النبي عليه الصلاة والسلام: ١/ ١٩، صحيح مسلم، باب معرفة الإسلام والإيمان: ١/ ٣٦).
(١٠) سورة الحديد الاية ٤ .

شَيْءٍ قَدِيرٌ[1].

والمستخلص مما تقدم أن قوة النفس والفكر لا يستغنيان عن قوة القلب، وقوة القلب قد تنفرد عنهما بمعارف وأعمال[2]، يقول المصطفى عليه الصلاة والسلام: ((التقوى ها هنا وأشار إلى صدره الشريف ثلاثاً))[3]، فإذا ما أخذت الروح غذاءها وهو حقها في قواها فعندئذ تتم تربية الروح، وأي تربية روحية تلك التي تنتهي فيها النفس عن المعاصي وتزكى بالطاعات والقربات ويشتغل الفكر بكل معرفة واجبة ومندوبة ومستحبة وتوجه النفس بمعية القلب إلى رضا الله تعالى، فيقودهما القلب إلى الغاية المثلى والمقصد الاسنى للفوز بالجنان ورضا الرحمن.

❊ ❊ ❊

المبحث الثاني: التربية الروحية وأثرها الانساني (التعليم انموذجا)

المطلب الأول: أثر الروح في صياغة التصرفات الإنسانية

لأن الإنسان في دائرة الامتحان الإلهي؛ جعل الله تبارك وتعالى فيه لطيفة هي مركب النقص ومبعث التصرفات السيئة والرذائل من الأخلاق تلك هي النفس، (كما بينت هذا في المبحث الأول).

ولعظم المسألة كان أطول قَسَم في القرآن الكريم هو قوله تعالى (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا)[4]، فجاء جواب القسم[5] (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا[6]. فالأساس أن النفس تدفع الإنسان من داخله إلى كل ما هو مخالف للشرع الحنيف وموافق لهواها(أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا[7]، فإذا كانت هذه النفس قوية حاكمة حجبت إشراقات الروح وهي مصدر التصرفات الإيجابية؛ ولأهمية هذا الموضوع كونه السبيل لصلاح الإنسان والوسيلة لتحقيق غايته في هذا الوجود بعث الله تعالى الأنبياء والرسل بهذه الوظيفة ونص عليها في محكم كتابه فقال عن مهمة الأنبياء والمرسلين صلى الله تعالى عليهم أجمعين (لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ[8]، فالتزكية كما جاءت في التفاسير هي التطهير من دنس الشرك وسوء الخصال إلى طاعة الله والإخلاص له تعالى وهذا قريب من معنى

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٤ .
(٢) ينظر: معالم الطريق: ٢٩٨، الرابطة القلبية: ٤٤ .
(٣) رواه مسلم في صحيحه، باب كل المسلم على المسلم حرام: ٨/ ١٠ .
(٤) سورة الشمس: الآية ١-٧ .
(٥) ينظر: تفسير القرطبي: ٢٠/ ٧٦ .
(٦) سورة الشمس: الآية ٩-١٠ .
(٧) سورة الفرقان: من الآية ٤٣ .
(٨) سورة آل عمران: الآية ١٦٤ .

التزكية وهي الطهارة والنماء[1]، فالتزكية هي التطهير للوصول إلى الطهارة التامة .

وفي الآية إشارة واضحة على أهمية التزكية فقد قدمها الله تعالى على العلم، لأنه لا علم لعالم لا يراقب الحق تعالى في تصرفاته، وفي ذلك يقول ابن عطاء رحمه الله: (اصل كل طاعة وحضور عدم الرضا عنها، وأصل كل غفلة ومعصية الرضا عنها، ولأن تصحب جاهلاً لا يرضى عن نفسه خيرٌ لك من أن تصحب عالماً يرضى عن نفسه، وأي علم لعالم يرضى عن نفسه وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه).[2] فالتربية الروحية تنعكس على تصرفات الإنسان المؤمن لأنه سيكون بمعية الله تعالى يراقبه في تصرفاته، لأنه على يقين بأن الباري جل وعلا ناظرٌ إليه، فيكون عمله خالصاً لله؛ حينئذ تشرق روحه بصفاء قلبه وسلامته من الذنوب فيؤثر في الغير التأثير الإيجابي بإذن الله تعالى، فينتفع الناس بعلمه وبعمله، فالقلب هو الأمير والجوارح جنده فإذا صلح الأمير صلح جنده وهذا تفسير لقوله عليه الصلاة والسلام: ((إلا أن في الجسد مضغة إن صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب))[3]، وقد أثبت العلم الحديث أن القلب يؤثر على قلوب الآخرين وواقعهم[4].

فكلما تغذت الروح بتغذية قواها بإعطائها حقوقها في رضا الله وطاعته زاد تأثيرها الإيجابي في الآخرين، وبالعكس كلما خضعت النفس لأهوائها زاد القلب قسوة وانعكس ظلمته على عمل الإنسان فيصبح له تأثير سلبي على الآخرين.[5] واختم هذا المطلب بحديث نبوي صحيح بيّن فيه سيدنا عليه الصلاة والسلام تأثير التقرب لله عز وجل بالطاعات والنوافل على المؤمن فقال عليه الصلاة والسلام في حديث قدسي: ((وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه))[6]، وفي الحديث دلالة واضحة على وجود معية الله عز وجل وتوفيقه للمؤمن لما فيه خيره وصلاحه فيما يتقرب به لله عز وجل طمعاً في رضاه .

المطلب الثاني الهدايات الشرعية في الجانب التعليمي

وردت في القرآن الكريم والسُنة النبوية الطاهرة خطابات كثيرة، تارة تبين العلاقة بين العالم والمتعلم، وتارة تمدح العلماء والمتعلمين وتحث على طلب العلم

(١) ينظر: تفسير القرطبي: ٢/ ١٣١، تفسير الجلالين: ٨٠، تزكية النفس: ٢٧-٢٨ .
(٢) ينظر: شرح الحكم العطائية، باب أصل الخطايا الرضا عن النفس: ٤٥ .
(٣) سبق تخريجه .
(٤) للاستزادة ينظر: موقع الدكتور عبد الدائم الكحيل لأسرار القلب، واقع الهالة الضوئية حول جسم الإنسان للدكتور دلاور حمد صابر .
(٥) ينظر: الرابطة القلبية: ٥٩-٦٧، واقع الهالة الضوئية: ٤٥، ١٠٥ .
(٦) رواه البخاري: وهو جزء من حديث طويل، باب التواضع: ٨/ ١٠٥ .

وإيصاله للمتعلم، ومن هذه الخطابات ما يأتي:

من الآيات التي بينت العلاقة بين العالم والمتعلم قصة سيدنا موسى عليه السلام في سورة الكهف مع العبد الصالح فقال عز وجل: (فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا)[1]، ويظهر لنا من الآيات الكريمات أن العلاقة التي دارت بين العالم والمتعلم كانت واقعية ظاهرة، ولم تكن مثالية صرفة، إذ شابها لحظات من القلق والاضطراب، فرأينا أن المتعلم خالف أستاذه، واعترض على تصرفاته وخلال هذه المسيرة العلمية كان هناك حوار ونقاش واستيضاح لكل المشاهدات الحاصلة في الموقف التعليمي وكل ذلك ضمن إطار متوازن ومعقول[2]

وكذلك بينت الآيات الكريمات اعتماد التخطيط والتنظيم من قبل المعلم وضرورة التزام العهد وربط الأمور بالمشيئة الإلهية من قبل المتعلم، وضرورة تحلي كلا الطرفين بالأمانة والتواضع ولطف المعاملة والصبر. ومن الخطابات التي جاءت لتمدح المعلم وتحثه على إيصال علمه قوله عليه الصلاة والسلام: ((إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضيين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير))[3]).

في الحديث الشريف الله تبارك وتعالى بدأ بنفسه

(١) سورة الكهف: من الآية ٦٥-٨٢ .

(٢) ينظر: طبيعة العلاقة بين العالم والمتعلم [بحث منشور المجلة الأحمدية عدد ١٦ ص ٢٢٣] .

(٣) رواه الترمذي في سننه، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة: ٥/ ٥٠ . وهو حديث حسن صحيح، ورواه ابن حبان في صحيحه، ذكر بيان ان العلم من خير ما يخلف المرء بعده: ١/ ٢٩٥ .

كما هو الحال في الصلاة على رسول الله عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1]، لعظم هذا الشأن في مقام خاتم الانبياء والمرسلين، وهنا يبدأ الجليل بنفسه ليصلي على معلم الناس الخير والصلاة منه تعالى فعل قدسي تعجز الافهام عن إدراك معناه وعظم قدسيته وما يحصل فيه من تجلي الجمال والجلال والبركة والنور، فهل توازي هذه المعاني العظيمة شيء من معطيات الدنيا الإدارية للمعلم أو الأستاذ ؟

وكذلك روي عنه عليه الصلاة والسلام من الحث على تعلم الناس: ((من علم علماً فله أجر من عمل به لا ينقص من أجر العامل)).[2] ومما روي عنه عليه الصلاة والسلام في بيان فضل طالب العلم ومعلمه قوله عليه الصلاة والسلام : ((من دخل مسجدنا هذا ليتعلم خيراً أو يعلمه كالمجاهد في سبيل الله))[3]. ومما ورد عنه عليه الصلاة والسلام في الحث على التعلم والتعليم ومدح طالب العلم والعالم قوله عليه الصلاة والسلام: ((من سلك طريقاً يطلب منه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة والملائكة تضع أجنحتها رضاً لطالب العلم، وأن العالم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما وأورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر))[4])).

فأي منزلة هذه للعلم فيه للسالك علماً طريقاً من طرق الجنة، وتضع الملائكة أجنحتها له رضاً، وهم خلق نوراني لطيف يفضي عل الزمان والمكان بركة ونوراً، وهذا شعور لا يدرك بالحس وإنما ببصيرة القلب[5]، فإذا تربى الطالب على هذه المفاهيم تجاوز فكره ونظره المنظور المشاهد في هذه الدنيا وأنساب على فكره وقلبه نوراً وفتوحاً من العلم وهانت عليه مصاعب طلب العلم وتلذذ بالصبر في تحصيله، وأي فضل لمنزلة العالم إذ يستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، الله اكبر ما اعظمها من منزلة، بل تفوق منزلته منزلة العابد، وليس هذا فحسب بل العلماء كما صرح الحبيب سيدنا عليه الصلاة والسلام هم ورثة الأنبياء فما أعظمه من ميراث وهل تساوي كنوز الدنيا هذا الميراث ؟ واختم هذا المطلب بوصية سيدنا عليه الصلاة والسلام في الحث على الاهتمام بالمتعلمين وأداء العلم لهم بأمانة فقال عليه الصلاة والسلام: ((سيأتيكم أقوام يطلبون

(١) سورة الأحزاب: الآية ٥٦ .
(٢) رواه ابن ماجه في سننه وحسنه الالباني، باب معلم الناس الخير: ١/ ٨٨ .
(٣) رواه ابن ماجه في صحيحه، ذكر التسوية بين طالب العلم ومعلمه وبين المجاهد في سبيل الله: ١/ ٢٨٨ .
(٤) رواه الترمذي في سننه: باب فضل التوبة والاستغفار: ٥/ ٥٤٦، وقال عنه حسن صحيح، ورواه ابن حبان في صحيحه، باب وصف العلماء الذين لهم الفضل: ١/ ٢٨٩ .
(٥) ينظر: كتاب التعريفات للجرجاني: ٣٦٣-٣٦٤، واقع الهالة الضوئية: ١١١-١١٩ .

العلم فإذا رأيتموهم فقولوا لهم مرحباً مرحباً بوصية رسول الله واقنوهم)[1])، أي علموهم .

وهذه وصية منه عليه الصلاة والسلام بطلاب العلم وبحسن معاملتهم وإظهار السرور والبشاشة بوجه طالب العلم.

المطلب الثالث: اهمية الجانب التربوي والمعرفي في مواجهة التحديات المعاصرة

لا يمكن بأي حال إن نلقي بالمسؤولية الكاملة على حكام المسلمين ونقف عاجزين ومكتوفي الأيدي لا نحرك ساكنا ولا نبذل جهدا في معالجة احوال الامة ومكافحة آفاتها الفكرية والعقائدية، وننتظر إن يقوم الحكام بذلك وهم الذين أذاقوا الامة وعبر قرن كامل من الزمان مرارة الإحباط، وغصة النكسات المتعاقبة والمتكررة، حتى اصبحوا في نظر الكثيرين من ابناء الامة العائق الاهم والعقبة المانعة من تقدم الامة وازدهارها.ومن هنا كان لا بد للعلماء وهم ورثة الأنبياء إن يضعوا بصمتهم ويقوموا بمسؤوليتهم الكاملة لانقاذ الامة من آفاتها الفكرية والعقائدية، فهل قام أطباء العقول والقلوب بواجبهم لمكافحة آفة العصر وإيجاد العلاج الناجع له؟

قال الإمام مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ (إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ)[2]؛ انها كلمة رائعة حري إن تكتب بماء الذهب، فمن أخذ العلم من الكراس لا يتجاوز الرأس ناهيك عن قصور ذلك العلم وهشاشته وان من المجاز إن يسمى علماً، لأن العلم لا يؤخذ الا من الرجال، أهل العلم الذين اخذوه من غيرهم وبمنهجية صحيحة ومن مظانه الاصلية النقية، بعد أن تعلموا الآداب اللازمة لحمل هذه الأمانة العظيمة، لا من الذين حُسبوا على العلماء واحدهم راس من رؤوس الفتن.

إن الكلام الخارج من المرء يخرج وعليه كسوة القلب الذي منه خرج، فالقلب الذي أمتلأ بالأهواء والكبر والعجب فالكلام الصادر منه – وإنْ كان بصيغة علم شرعي – يخرج وعليه ظلمة تلك الأمراض القلبية الخطيرة، ولهذا فإن الكلام الخارج لا يزيد السامع الا بعدا عن الله تعالى، ولا تُورث في العقل والقلب الا القسوة والشبهات، والأرواح جنود مجندة يكتسب بعضها من بعض ويتأثر بعضها ببعض، ومن هنا كان للمحبة دور كبير في تشكيل شخصية الفرد المسلم واخلاقه المكتسبة، فالصاحب ساحب لصاحبه في أخلاقه وأفكاره، فكيف بالاستاذ المعلم قال تعالى:(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)[3]، ومن هنا قول الحبيب صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم (الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ)[4]، لقد كان منهج السلف

(١) رواه ابن ماجة في سننه، باب الوصاة بطلب العلم وحسنه الألباني: ١/ ٩٠ .

(٢) . ١/ ١٤ صحيح مسلم: (٨٨)

(٣) ٨٩) سورة التوبة : ١١٩.)

(٤) (٩٠) رواه أبو داود، باب موسى بن وردان،ح ٢٦٩٦ :٤/ ٢٩٩، والحاكم في المستدرك، ح٤:٧٣١٩/ ١٨٨

الصالح في منح العلوم الشرعية منهجاً قويماً رصيناً فلقد كانوا لا يمنحون العلم الا لأهله وطلبته، فهذا الامام الشافعي رحمه الله اذا جاءه طالب علم أخر قَبوله حتى يُرسل مَنْ يتبعه ويراقبه الايام ذوات العدد حتى يتأكد من خُلقه وأدبه، حين ذاك يُرسل في طلبه ويقبله طالباً عنده، ويمنحه من علومه الشريفة.

واذا بحثنا في تأريخ الاسلام وحضارته المباركة عن احوال الأئمة الاعلام الذين وجهوا ارواحهم الى رب السماوات والارضين فسموا على مدارج العروج اليه سبحانه، اتباعا لهدي خاتم النبيين، أما هؤلاء فتقرأ عن احوالهم العجب العجاب، فهذا التابعي المجتهد الجليل أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، شيخ مجتهدي المدرسة الفكرية العراقية في قوانين الاسلام، يدرس علومه طوال حياته مجاناً ويرفض منصب قاضي الدولة العباسية العظمى، ويقسم نهاره بين التعليم وبين كسب معاشه في دكان يعمل فيه قزازاً، ثم ينفق اكثر ما يكسب في معونة طلاب العلم والصدقة للفقراء والمحتاجين.

وهذا المجتهد الجليل محمد بن ادريس الشافعي، امام اهل الحديث في علماء الامصار ينشأ فقيرا ويعلوا به مقام العلم فقيرا، وحينما يهدي اليه الخليفة هارون الرشيد عشرة الاف من دنانير الذهب يخرج من فوره فيدفع منها اجور النساخين والوراقين ليستنسخوا له كتب المجتهدين العراقيين ويوزع اكثرها الباقي بين الفقراء والمحتاجين في يوم واحد، ويبقى هو ذلك الروح الجليل الزاهد في متاع الدنيا الراغب في مرضاة الله والحياة الخالدة. وهذا ابو اسحاق صاحب كتاب المهذب في الفقه الشافعي المتوفي سنة ٤٧٦هـ قد ملأ بغداد علما وفقها وقد اكتفى لغذاء يومه بقرص خبز كان يأخذه ثم يمشي به اخر النهار الى صديق له في السوق يبيع الباقلاء المسلوقة ليلين القرص بباقي ماء القدر قبل إن تكب ولا يقبل من الباقلاء شيئا، وأراده خليفة عصره في سفارة الى ما وراء النهر لإصلاح حال المسلمين فلم يقبل لجهاز السفر غير دابة تحمله، وكان قد ذاع صيت علمه وزهده فما مر في طريقه بمدينة الا خرج اهلها للاحتفاء به ووزعوا الرياحين والحلوى تعبيرا عن ابتهاجهم بمقدمه، انهم حقاً علماء هداية ورحمة ولكن كيف وصلوا الى هذا المستوى الرفيع من الخلق السامي والزهد الكبير والقدر الجليل؟ انهم ولا شك قد ساروا على المنهج القويم في استحصال العلوم الشرعية؛ فملكوا صدق الطلب ولازموا اهل العلم الصالحين، وصبروا على طول الطريق مع الأدب الجم والخلق الرفيع، وما ذلك الا امتثالا منهم لأمر الله تبارك وتعالى وتمسكا بهدايات القرآن الكريم في استحصال العلم من أهله مع تقديم الأدب والتسليم، قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، وهذا التوجيه الشريف ذُكر مرتين في القرآن الكريم، وقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾[2]، ولنا في سُنة نبينا الكريم عليه وآله وصحبه

(١) سورة النحل/ من الآية٤٣، سورة الأنبياء/ من الآية٢١ (٩١)

(٢) (٩٢) سورة الفرقان/ من الآية ٥٩

افصل الصلاة والتسليم إضاءات عديدة؛ فعن سيدنا ابي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول: (مَنْ سلك طريقاً يبتغي فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة وان الملائكة لتضع اجنحتها رضاءً لطالب العلم... وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن اخذ به اخذ بحظ وافر)[1].

وعليه ينبغي للشباب الذين يرومون تعلم العلوم الشرعية المباركة أن يسلكوا طريقه الطيب على وفق اصوله فلا يصل واصل إلى مبتغاه دون سلوك الطريق الموصول إليه واتباع السادة المرشدين فيه، فلكل طريق أدلاء ومرشدون، قال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾[2]، وقال تعالى ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ﴾[3]، وبهذه القواعد ينال المرء أنوار وبركات وهدايات قول سيد السادات صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم (من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة)[4]، علما إن اللفظ هنا عام يفيد جميع العلوم التي يبتغي من خلالها فائدة الامة والنهوض بواقعها لتماشي ركب الانسانية المتحضرة، ولكن على الشباب إن يسلكوا الطريق، نعم انه طريق بمراحل عدة يتسلح فيه المتعلم بصدق يدفعه للطلب وصحبة استاذ قدير قد سبقه في هذا الطريق فعرف مسالكه ومزالقه، وصبر يحمله على تجاوز عقبات الفتور والصد وركون النفس الى حب الكسل والقعود، طريق له بداية وليس له نهاية فلا نهاية لطريق العلم، قال تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)[5].

أن طلب العلم الشرعي يخضع كغيره لسُنة التدرج، ولا بد فيها من الانخراط في المدارس والجامعات المتخصصة بمنح هذه العلوم او صحبة شيخ عالم صالح فانه سيسهل له مهمة التحصيل ويختصر له الطريق فهو سيتعرف على مواهب وقدرات الطالب وسيمنحه وفق ذلك انواع العلوم اللازمة ضمن فترة ملازمته للأستاذ المربي، وبخطوات متلاحقة مدروسة وبهذا سيضع يديه على كنوز من المعرفة الهادية الى كل خير ورحمة ويُسر.

المطلب الرابع إضاءات التربية الروحية في المسيرة التعليمية

تبين لنا مما تقدم في المبحث الأول أن تربية الروح تحصل بتغلب قوة القلب والفكر على النفس، فتتغذى بذكر الله والطاعات واجتناب المعاصي والرذائل والمنكرات، وبالتقرب إلى الباري بالاستغفار والدعوات فتبقى بمعية الله عز وجل لتصل في مقام

(١) (٩٣) رواه ابو داود، باب الحث على طلب العلم، ح٣:٣٦٤١/ ٣١٧، والترمذي، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، ح٥:٢٦٨٢/ ٤٨.
(٢) (٩٤) سورة الكهف من الآية ١٧.
(٣) سورة لقمان الآية ١٥.(٩٥)
(٤) . رواه الترمذي في سننه وحسنه، باب فضل طلب العلم، ح٤:٢٦٤٦/ ٣ (٩٦)
(٥) سورة الاسراء الآية ٨٥ (٩٧)

العبودية إلى مرتبة الإحسان؛ حينئذ تشرق الروح باشراقات تتجسد بأن يصبح المؤمن اكثر سعادة وتفاؤلاً ونشاطاً وهمة وقدرة على مواجهة المصاعب ودفع السوء بإذن الله تعالى[1]، وبما أننا بصدد إشراقات الروح وتأثيرها في التعليم، فيكون المؤمن سواء كان المعلم أو المتعلم مستشعراً لعظمة دوره بعد أن علم المعلم أن الله وملائكته يصلون عليه، وأن رسول الله عليه الصلاة والسلام أوصى بالمتعلمين خيراً وأن من في السموات والأرض يستغفر له، واستشعر المتعلم أنه يسلك طريقاً من طرق الجنة وأن الملائكة تضع له أجنحتها رضا بما يفعل، وأن رسول الله عليه الصلاة والسلام أوصى بهم خيراً .

فتنعكس هذه الصفات وهي: السعادة والتفاؤل والنشاط والهمة ومواجهة المصاعب ودفع السوء على المعلم والمتعلم .اضف إلى ذلك إذا استشعر كل من المعلم والمتعلم دوره والأمانة التي في عنقه، فالأمانة في عنق المعلم إيصال العلم وتعليمه أياً كان نوعه ما دام في طاعة الله ونفع الأمة، والأمانة التي في عنق المتعلم تلقي هذا العلم واستيعابه والاستفادة منه. وهنا يبرز دور التربية الروحية لكلا طرفي التعليم والعلاقة بينهما إذا ما قارنا بين المعلم الذي غلبت شهواته ونفسه الأمارة بالسوء على فكره وقلبه فعميت بصيرته، فنسي الأمانة ونسي أنه مؤتمن فأصبح لا يبالي إلا بالراتب الشهري ويكون حضوره من عدمه سواء، ومثل هذا المعلم أو (الأستاذ) لا يؤثر بأحد من المتعلمين إيجابيا، إنما العكس، فينعكس تأثيره سلباً بالمتعلمين لان ظلمة قلبه لكثرة الذنوب والمعاصي تجعل النفس الأمارة هي السلطان فترى من هذا الشخص ما تدفعه نفسه لأن يرتشي أو يظلم أو يفرق بين الطلبة على أسس عرقية أو قومية أو مذهبية وهذه آفة العلم، وكذلك بالنسبة للمتعلم إذا كانت روحه لم تتغذى على طاعة الله تعالى واجتناب الرذائل والمعاصي بل العكس، أي أن تغذيتها كانت بما أمر باجتنابه، فحينئذ تنعكس ظلمة القلب على استيعابه للعلم والمعرفة ويستصعب عليه الانتفاع به، بل يستصعب عليه التمييز بين الخير والشر، وبين الحق والباطل، لأن بصيرة القلب لا ترى بسبب ظلمة الذنوب التي أعمتها وفي ذلك يقول الله عز وجل: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ[2]، فترى حينها المتعلم (الطالب) يبيح لنفسه الغش والخداع والتسيب وخيانة الأمانة، ولا يأبه الا بالنجاح المنظور المادي بأية وسيلة كانت سواء مباحة أم محرمة، وهنا يبرز دور المعلم الذي بصر قلبه بنور اليقين وإن كان دوره وقتئذ أعظم، فبالإضافة إلى مسؤولية ايصال المادة العلمية، سيكون عليه إعادة قلوب المتعلمين الى صفائها ونقائها، وكلما زادت بصيرة قلبه كلما زاد تأثيره الإيجابي على المتعلمين، وحينها تبدأ القلوب بإذن الله تعالى بإزالة ظلمات الذنوب شيئاً فشيئاً حتى تعود لها البصيرة، وهذه المسؤولية الثانية أولى من الأولى لأن

(١) ينظر : واقع الهالة الضوئية ٢٦٩ (٩٨)

(٢) سورة الحج: الآية ٤٦ .

المعلم لن يستطيع القيام بمسؤوليته الأولى بنجاح إذا لم ينجح في مسؤوليته الثانية .

فالمرحلة الأولى هي الانتقال بالقلب من المرض إلى الصحة، ثم المرحلة الثانية إعطاء هذا القلب الزاد اليومي (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ).[1] والطريق إلى إصلاح القلب هو العلم ثم العمل بالإسلام[2]، وفي هذا يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: ((مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقية، قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعَلِم وعَلَم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به))[3].

ندرك من الحديث الشريف أن طبيعة القلوب تتحدد وتتبين من خلال موقفها من العلم والهدى الذي بُعث به رسول الله عليه الصلاة والسلام وتجاوب القلوب من عدمه مع ما جاء به عليه الصلاة والسلام يعرف عن طريق العلم، فالعلم هو الأول كوسيلة للإصلاح، لكن القلوب تتفاوت في مواقفها، فأن كان القلب يحفظ ولا ينبت أو قلب لا يحفظ ولا ينبت وكان فيها إيمان فإنه لا بد من عملية إصلاحية علاجية، وهنا يأتي كوضع ضروري دور المربي والولي والمعلم والأستاذ والمرشد والذي يكون قلب كل من هؤلاء حفظ وانبت.

وهكذا ندرك من الحديث الشريف أن العلم لا بد منه (والمقصود في هذا المقام جميع العلوم لأن جميع العلوم مردها إلى الكتاب والسنة)[4]، ومع العلم العمل بالإسلام لتسري أنوار الإيمان شيئاً فشيئاً إلى القلب حتى يستنير كله، قال تعالى: (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُم[5]، فالإيمان لم يدخل ولكنه على وشك الدخول بسبب الإسلام وأعمال الإسلام[6]. فكل عمل في الإسلام يفعله الإنسان مع النية الخالصة لله تعالى له نوره الذي يتسلل إلى القلب، فإذا تصورنا أن إنساناً في قلبه إيمان ونفاق وهذا الإنسان قطع مدد النفاق من قلبه بتركه المعاصي والفسوق وأعمال الكافرين وأقبل بهمة ونشاط على أعمال الإسلام من صلاة وزكاة وصوم وذكر وقراءة قرآن وغير ذلك، مثل هذا الإنسان لا يلبث بعد فترة حتى يستنير قلبه ويصل إلى القلب المؤمن الذي فيه السراج يزهر، ولا ننسى إن إدامة سراج القلب الذكر لأن باب الذكر في قضية القلوب له المكان الرفيع، قال تعالى:(الَّذِينَ

(١) سورة البقرة: من الآية ١٩٧ .
(٢) ينظر: تربيتنا الروحية لسعيد حوى: ٨٩ .
(٣) رواه الشيخان، صحيح البخاري، باب فضل من علم وعلم: ١/ ٢٧، صحيح مسلم باب بيان مثل ما بعث به النبي عليه الصلاة والسلام :٧/ ٦٣.
(٤) ينظر: واقع الهالة الضوئية: ٩-١١ .
(٥) سورة الحجرات: من الآية ١٤ .
(٦) ينظر: تربيتنا الروحية: ٩٠ .

آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهَّ أَلَا بِذِكْرِ اللهَّ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ[1]، أي تطمئن قلوبهم أنساً بالله واعتماداً عليه ورجاء فيه وذكر رحمته ودلائله الدالة على وجوده[2]، فتسكن القلوب إليه جل جلاله وعم نواله . وبإصلاح القلوب وصلاحها واطمئنانها اختم بحثي هذا راجية من الله الحنان المنان أن يمن علينا بقلوب سليمة مطمئنة حتى نلقاه جل جلاله وعم نواله بصفائها ونقائها، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير .

❊ ❊ ❊

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على خير الأنام الحبيب المصطفى وعلى آله وأصحابه أهل الوفا، فقد تم بنعمة الله وفضله ما قدرني الله على هذا الجهد المتواضع وإنجازه وتقديمه هدية متواضعة لأخواني وأخواتي وأحبتي في الله من المدرسين والطلبة، وأرجوه سبحانه أن ينفعنا به ومن قرأه أو سمعه أو نظر فيه وأن يكون سبباً في تنوير البصائر وشفاء القلوب وحياتها ولذة النفوس وزكاة الأرواح وغذائها .

أما بعد: فإن من أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث المتواضع ما يأتي:

١. للروح معان عدة المقصود منها في موضوع البحث روح الإنسان وبصيرة القلب وان الروح خالدة لا تفنى بفناء الجسد .

٢. قوله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) تمام الجواب وليس نفياً له .

٣. الخلق نوعان، فإذا كان من عالم الأسباب والمسببات فهو من عالم الخلق، وإذا كان بدون أسباب ومسببات فهو من عالم الأمر (أي أمر الله عز وجل بقوله كن فيكون) .

٤. للروح قوى متفاعلة فيما بينها متمايزة، أحدها على الأخرى هي النفس والفكر والقلب، وبتغذية كل من هذه القوى بحقها الذي جاء به الشرع الحنيف تحصل التربية الروحية، وتربية الروح تكون في مخالفة النفس ففي مخالفتها السلامة والامن من شرورها، واستعمال الفكر في كل معرفة واجبة أو مندوبة أو مباحة، أما القلب فهو الأمير والجوارح جنده إذا صلح الأمير صلح جنده، والقلب هو الآلة العظمى لتربية الروح، والنور الذي يحصل له بصلاحه بذكر الله والاستغفار وسلامته من الذنوب تستضيء به الجوارح في أفعالها .

٥. تربية الروح تنعكس على تصرفات الإنسان المؤمن لأنه سيكون بمعية الله تعالى، وذلك بذكره تعالى ومراقبته ليصل إلى مرتبة الإحسان، فيكون عمل المعلم والمتعلم خالصاً لله تعالى مدركين الأمانة التي في أعناقهم .

٦. للقلب تأثير إيجابي في التعامل مع الأخرين فيؤثر في قلوبهم وأدمغتهم ولأن القلب في حال صلاحه يشرق بنور الله فتكون له بصيرة يبصر بها الحق والخير

(١) سورة الرعد: الآية ٢٨ .
(٢) ينظر: تفسير البيضاوي: ٣/ ١٨٧ .

وبالعكس يكون له تأثير سلبي إذا ما أظلم بكثرة الذنوب والمعاصي واتباع لهواها.

٧. إن الشريعة الإسلامية عملت على الموازنة بين المعلم والمتعلم ضمن روح تكاملية وتوافقية، بأن ينظر المعلم نحو المتعلم نظرة ملؤها الحب والعطف، ويقابلها في الجانب الأخر نظرة الاحترام والتقدير من المتعلم نحو المعلم واعتباره القدوة الصالحة وهذا كله منطلقه التربية الروحية في الشريعة الإسلامية، وقد لاحظنا هذا في قصة سيدنا موسى عليه السلام مع العبد الصالح، ومن أحاديث الحبيب عليه الصلاة والسلام التي وجهها للمتعلم والمعلم .

٨. لكي نحقق من التعليم الغاية المنشودة علينا بالرجوع إلى الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، فهذه الشريعة الغراء لا تكتمل فيها شخصية المؤمن إلا بتمام الفهم والتكوين من كل الجوانب والنواحي عقيدياً وفكرياً وروحياً وإيمانياً وعلمياً وعملياً، والتربية الروحية متممة ومكملة للجوانب الأخرى، فلا عمل بلا علم، ولا عمل بلا عقيدة وفكر، ولا عمل بلا تقوى في القلوب وزكاة في النفوس وصفاء في الأرواح .

٩. إن إشاعة التربية الروحية ثقافة أكاديمية وعامة والعمل بها ينشر روح التسامح والمحبة في المجتمع وتجعله بيئة طاردة لكل أفكار العنف والإرهاب والتشدد.

١٠. لقد ارتبط الوعد الرباني بالتمكين والنصر والريادة للمؤمنين، والمؤمنون كما هو معلوم مرتبة أعلى من المسلمين وبه يكون اهلها اصحاب قلوب حاضرة فاعلة تتفاعل مع هدايات الشرع الشريف ومتطلعة لنعيم الحياة الخالدة.

❊ ❊ ❊

مصادر ومراجع البحث

القرآن الكريم

١. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان التميمي الدارمي (ت٣٥٤هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٩٨م) .

٢. أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد صادق القمحاوي (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ) .

٣. الأحمدية، مجلة علمية دورية محكمة، تصدر عن دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، عدد ١٦، محرم ١٤٢٥هـ فبراير ٢٠٠٤م .

٤. أصول الفقه في نسيجه الجديد، أ.د مصطفى إبراهيم الزلمي، (شركة الخنساء للطباعة المحدودة، بغداد، ط١٥، ٢٠٠٢م) .

٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المشهور بتفسير البيضاوي، أبو سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٦٨٥هـ) تحقيق: امجد عبد الرحمن المرعشلي (دار إحياء التراث العربي، ط١،

١٤١٨هـ) .
٦. تربيتنا الروحية، سعيد حوى، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م) .
٧. تزكية النفس، د. محمد عبد الكريم البرزنجي (مطبعة أنوار دجلة، ط٢، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م) .
٨. تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت٨٦٤هـ)، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ) (دار الحديث، القاهرة، ط١) .
٩. الجامع الصحيح سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد شاكر (دار إحياء التراث العربي بيروت) .
١٠. جامع العلوم والحكم، أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي (دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٨هـ) .
١١. الجامع لأحكام القرآن، المشهور بتفسير القرطبي، أبو عبد الله أحمد بن فرج الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري (دار عالم الكتب، الرياض، السعودية، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م) .
١٢. الرابطة القلبية، سعد الله احمد عارف (مطبعة أنوار دجلة، ١٤٣٤هـ-٢٠١٢م) .
١٣. الروح في الكلام على الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٩٥هـ - ١٩٧٥م).
١٤. سنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار الفكر، بيروت) .
١٥. شرح الحكم العطائية، المكتبة الشاملة، وهذا الكتاب من إضافات المستخدمين .
١٦. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير ناصر، شرح وتعليق: مصطفى ديب البغا (دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ) .
١٧. صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ)، (دار الجيل، بيروت، ١٣٣٤هـ) .
١٨. كتاب التعريفات، علي بن محمد بن الحسيني الجرجاني الحنفي (ت٨١٦هـ) تحقيق: نصر الدين التونسي (شركة القدس للتجارة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م) .
١٩. معالم الطريق في عمل الروح الإنساني، د. عبد الله مصطفى (عمان، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م) .
٢٠. واقع الهالة الضوئية حول الإنسان، أ.د. دولار محمد صابر (دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م) .
٢١. الوجيز في أصول الفقه، عبد الكريم زيدان، (الدار الإسلامي، عمان، الأردن، ط٥، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) .